13 me Année No. 625

Lundi - 25 - 6 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٦٢٥ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٥ رجب سنة ١٣٦٤ — ٢٥ يونيو سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

من وحى المرأة

للأستاذ عباس محمود العقاد

من أعجب ما يلاحظ على آداب الأمم قلة ما نظمه الشعراء فى رثاء النساء ، ولا سيما الزوجات

فعلى كثرة الغزل فى المرأة نرجع إلى شعر الأقدمين والمحدثين وإلى شعر العرب وغيرهم من الأمم ، فلا نرى فى لغة من اللغات إلا قصائد معدودات فى رثاء النساء والزوجات منهن على الخصوص

فليس أكثر مما نظمه الشعراء فى التغزل بالمرأة ، ولا أقل مما نظموه فى الحزن عليها

وقد رثى شعراء العربية الأمهات كرثاء المتنبي لجدته ورثاء الشريف لأمه ، ونظموا العزاء فى أخوات الأمراء وقريباتهم ، كما نظم المتنبي تلك القصيدة اللامية فى رثاء أخت سيف الدولة ، ولم ينس أن يقول منها :

ولو كان النساء كمن فقدنا لفضلت النساء على الرجال

كأنه يعتذر من هذا الشذوذ فى قواعد الرثاء بحالة مستثناة لا يقاس عليها ، وهى حالة هذه السيدة التى تفضل السادة الرجال !

بل وجد فى صدر الإسلام من يرثى امرأته معتذراً حيث يقول:

لولا الحياء لهاجنى استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار

ولم يظهر المعنى الإنسانى فى رثاء المرأة — جليلة كانت أو غير جليلة — قبل عهد ابن الرومى الذى قال فى بستان المغنية :

بستان وا حسرتا على زهر فيك من اللهو بل على ثمر

وقال من القصيدة بعينها يذكر وفاتها فى ريعان الشباب :

يا غضة السن يا صغيرتها أصبحت إحدى المصائب الكبر

ورثى امرأته رثاء يدل على هول الفجيعة فيها فقال :

عينيَّ سحا ولا تنشحا جل مصابى عن العزاء

ونظم قصيدة أخرى فى مثل هذا الرثاء

* * *

وليس بالعسير تعليل هذه الظاهرة المتفقة فى جميع الآداب العالمية ، فإن الأمر مرتبط بمكانة الزوجة فى العصور القديمة ، ثم فى هذه العصور الحديثة . ومما لا اختلاف فيه بين الأمم أن الزوجة كانت فى أقدم العصور كالقنية المملوكة التى لا فرق بينها وبين الجارية الرقيقة ، ثم ارتفعت مكانتها فظهرت الزوجة ربة البيت ، ولكنها لم تزل فى عرف المجتمع شهوة من شهوات الضرورة التى يلجأ إليها الرجل فى ساعة ضعفه أو الساعة التى تغلبه فيها الطبيعة الحيوانية ، ولم تظهر المرأة التى هى « شريكة حياة » ، أو سكن للرجل كما جاء فى القرآن الكريم إلا فى العصور الأخيرة ، وإن كانت لها رائدات سابقات بين بعض الأسر فيما تقدم من العصور

فالشاعر كان يتغزل فى المرأة ولا يخجل من ذلك لأن الغزل منسوب إلى الظرف واللباقة

وكان يرثى أمه أو جدته لأن حب الأمهات والجدات محسوب من البر المشروع الذي لا ضعف فيه

وكان يرثى أمهات الأمراء وقريباتهم ، لأن عزاء الأمراء واجب من واجباته المفروضة عليه

ولكنه لم يكن يرثى الزوجة المتوفاة ، لأنها شيء يخصه ولا يفهم معنى الفجيعة فيه عند أبناء عصره إلا على معنى الضعف الذي لا يجمل بالرجال ، وكيف كان يحمل بهم أن يتفجعوا على الزوجة المفقودة ، وقد كانت زيارة قبرها مما يحتاج إلى اعتذار ؟

ولا شك أن آداب الأمم هي خير مسجل لأخلاقها الاجتماعية سواء تعمدها الشعراء أو لم يتعمدوها

فمن الظواهر الحديثة التي تسجل في الأدب العربي — أو الأدب المصري — أن الزوجة « شريكة الحياة » تمثلت في شعرنا العصري تمثلا واضحاً بليغاً صادق الدلول ، لأننا قرأنا في سنوات متقاربات ديوانين كاملين في رثاء الزوجة الفقيدة ، وكلاهما لم يكن ظهوره بالمفهوم قبل هذا الجيل ، لأن وجود شاعرين اثنين يثنيان لذكرى فقيدتيهما لا يكفي لإظهار ديوانين في هذا المعنى ، ما لم يكن هذا المعنى ملحوظاً مقدراً عند الكثيرين من أبناء الجيل الذي ينشآن فيه

قرأنا بالأمس ذلك الديوان الحزين الذي نظمه الشاعر المطبوع الأستاذ عزيز أباظة بك وسماه « الأنات الحائرة » ، لأنه أقوى من أن يسمى بالدموع

وقرأنا هذه الأيام ديواناً آخر في هذا المعنى للشاعر الألمعي الأستاذ عبد الرحمن صدقي سماه « من وحي المرأة » ، لأنه لم يكن إلا وحياً فاض به حزنه على فقيدته العزيزة ، فخرج في جملته منظوماً كأنه لا يحتاج إلى ناظم ، وجاء فيه بقصائد ومقطوعات ستبقى في عداد الشعر الخالد ، سواء منه ما نظم في هذا الموضوع أو غير هذا الموضوع

ويدل على أن ظاهرة الزوجة شريكة الحياة هي الباعث على نظم هذين الديوانين أنهما قد نظما في زوجتين لا تجمع بينهما صفة تميزها غير صفة المشاركة في الحياة ، فلا يقال إن القرابة هي باعث الرثاء ، لأن إحدى الزوجتين أجنبية عن البلد فضلا عن الأسرة ، ولا يقال إن الذرية هي علة الإعزاز ، لأن إحدى الزوجتين لم تعقب ذرية بعدها ، ولا يقال إن الحب العاطفي هو مصدر هذا الوحي ، لأن الحب العاطفي قد يوجد ولا يوجد معه التفاهم في الأفكار ولا التعاون على أعباء الأسرة وشواغل النفوس ، ولكنها المشاركة في الحياة وحدها هي التي يرجع إليها الإيحاء بهذين الديوانين ، حين فهم العصر كله معنى الزوجية التي تقوم على هذه المشاركة بين حياة إنسانين

والزوجة شريكة الحياة — حياة الأديب على التخصيص — هي التي يقول الأستاذ صدقي في وصفها :

وكنت الغنى من مشكل بعد مشكل
وعقدات نفس تستديم فلاقلي
مشاكل شتى : حاجة النفس للهوى
وحاجة ذي حس ، وحاجة عاقل
جمعت لي الدنيا فأغنيت مُعدمي
وأمتعت محروم وزينت عاطلي

أو يقول في ذكرياتها من قصيدة أخرى :

وخير رفيق أنت في كل رحلة وخير سمير للحديث ينضد
ونجلس في حضن الطبيعة صمتنا مناجاتها — إن الطبيعة معبد
ونجلس للأشعار ندرسها معاً
كأنْ ليس غير الكتب في العيش مقصد

وقد تكون شريكة حياة ولا يكون قوام المشاركة بينها وبين قرينها طول الشغل بالدراسة والمطالعة ، كما قال الأستاذ عزيز في قصيدته الدالية في يوم ميلاده :

أقول والقلب في أضلاعه شرق
بالدمع : لا عدت لي يا يوم ميلادي
زلت بي ودخيل الحزن يعصف بي
وفادح البث ما ينفك معتادي
وكنت تحمل لي والشمل مجتمع
أنساً يفيض على زوجي وأولادي
فانظر تر الدار قد هيضت جوانبها
وانظر تجد أهلها أشباح أجساد
فقدتها خلة للنفس كافية تكاد تغني غناء الماء والزاد
وموئلا أجد الأمن الكريم به إذا تعاورني بالبغي حسادي